

خطبة جمعة بعنوان /

# ﴿ قبل أن تُحاسبوا ﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

حفظه الله



الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ  
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:

١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:

١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

معاشر المؤمنين، قد خلقنا الله ﷻ في هذه الحياة، وجعلها دار امتحان وابتلاء، وجعل لنا نفوسًا تتنازعها الأهواء والشهوات، ثم دعانا ربنا ﷻ لاتباع أوامره واجتناب نواهيه، فمن غلب عقله وتقواه على انقياده لشهواته وهواه نجح وأفلح، ومن غلب هواه تقواه خسر وضل، لذلك يجب على المؤمن أن يستعين بربه ﷻ في هذا الامتحان الذي نحن نعيش فيه اليوم، ويعيش فيه كل إنسان في هذه الحياة، ثم عليه أن يستعين بما يعنيه على تقواه، ومن أعظم ما يعين المؤمن على تقواه وعلى مجانبة هواه محاسبة النفس.

هذه النفس -إخواني الكرام- مليئة بالأهواء وبالنوازع التي تنزع الإنسان إلى الركون إلى الشهوات، وإلى الغفلة، وإلى حب الدنيا، وإلى التكاثر عن الطاعات، والتكاسل عن رضا الله ﷻ، فإذا ما أهملتها وأسبلت عليها غطاء الغفلة دون أن تنزعه عنها فلا تزال تهيم في أودية الدنيا، وفي غفلتها حتى تنتبه في يوم لا ينفع فيه الانتباه، قال الله ﷻ مبيناً حال مَنْ قبض روحه، وبعث إلى ربه، قال سبحانه: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

هذا الغطاء سيُكشف لا محالة، غطاء الغفلة عن مصير الإنسان، وعن حياته، وعن حقيقة ما يُراد له، وعن حقيقة جزائه، سيُكشف لا محالة، ولكن الشأن كل الشأن في توقيت هذا الكشف، الموفق مَنْ كشفه في الحياة الدنيا، كشف هذا الغطاء غطاء الغفلة، وانتبه لحقيقة ما يُراد له في هذه الحياة، ثم حمل نفسه على هذه الحقيقية، على مجانبة مساخط الله ومعاصيه، وعلى حمل النفس على رضا الله وما يحبه سبحانه، أما مَنْ لم يوفقه الله عز وجل لكي يعيش في هذا الغطاء في الدنيا، فإنه سيُكشف يوم القيامة لا محالة: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

حاد واضح ترى كل شيء، لذلك -إخواني الكرام- على الإنسان أن يكشف هذا الغطاء في الحياة الدنيا قبل الآخرة، يقول الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

أفلق مَنْ زكَّى هذه النفس، ولا تكون تزكية النفس إلا بمحاسبتها، ويقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

هذه الآية يأمرنا الله عز وجل فيها بأن نحاسب أنفسنا، وأن ننظر، وأن نتصفح كتاب حياتنا الذي كتبناه بأفعالنا، نتصفحه، ولننظر ماذا قدمنا ليوم غدٍ، هذا الكتاب الذي سيُنشر يوم القيامة، ولن تُظلم فيه في حرف؛ لأنك أنت الذي كتبتَه بيدك، وبأفْعالك، وبأقوالك، أليس من العقل أن ننظر في هذا الكتاب اليوم قبل أن يُعرض عليك غداً، اليوم تستطيع أن تغير في هذا الكتاب، تستطيع أن تمحو ما لا ترغب في أن تراه يوم القيامة، تستطيع طالما فيك نفسٌ ونفسٌ

وعقل فإنك قادر على أن تمحو من كتاب عمرك وحياتك ما لا ترغب أن تراه يوم القيامة، وأن تكتب فيه ما ترغب أن تراه.

الله ﷻ يأمرنا أن ننظر في هذا الكتاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨].

لا تكون تقوى الله ﷻ إلا إذا نظرنا في هذا الكتاب، وماذا سنقدم فيه على الله ﷻ؟ وروى الإمام الترمذي في سننه عن أبي يعلى شداد بن أوس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ». هذا الحديث رواه الإمام الترمذي في سننه وحسنه، ورواه البغوي في شرح السنة وحسنه، وإن كان بعض المحدثين قالوا: فيه مقال، ولكنهم اتفقوا على صحة معناه.

الْكَيْسُ أي: العاقل الحازم ذو العقل، ذو العقل -إخواني الكرام- ليس هو الذي يحل المسائل الرياضية بسرعة، وليس الذي هو يحلل التحليلات السياسية بشكل صحيح، العاقل مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، هذا هو الكَيْسُ، هذا هو العاقل، هذا هو الفاهم، مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، أي: حاسبها، وتصفح كتاب حياته الذي كتبه بنفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، كلما أرادت نفسه شيئاً فعله، كلما طمحت نفسه لفعل أعطاهها، ثم يتمنى على الله الأماني، الله غفور رحيم، الله سيغفر لي إن شاء الله، الله ﷻ عنده تسعة وتسعين رحمة، ويتمنى على الله الأماني دون عمل، دون توبة دون إقبال على الله ﷻ، هذا هو العاجز، لذلك كان النبي ﷺ وهو سيد المتقين يحاسب نفسه كل يوم، بل ويستغفر في اليوم مائة مرة.

ويقول أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مررت في يوم من الأيام على حائط، أي: على بستان مزرعة، فسمعتُ صوتاً، فإذا هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جالساً في زاوية من زوايا هذا الحائط وهذه المزرعة، يكلم نفسه، يحدث نفسه، يقول: يا عمرُ ماذا فعلتَ ليوم غدٍ؟ يا عمرُ، ماذا فعلتَ ليوم غدٍ؟ هل معه أحد؟ لا، كان يحدث نفسه، كان يحاسب نفسه، لن تفلح في هذه الحياة حتى

يكون لك من نفسك محاسب على نفسك، تقف على أعمالك وأفعالك بنفسك، أما إذا غضبتَ الطرف، وأتبعْتَ نفسك هواها، ثم تمنيتَ على الله الأمانى، فهنا لا تلومنَّ إلا نفسك. بارك الله لنا ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:-

إخواني الكرام، محاسبة النفس نوعان:

- محاسبة قبل العمل.

- ومحاسبة بعد العمل.

أما قبل العمل، فهي أن تنظر قبل أن تقدم على أي عمل هل هذا العمل يُرضي الله ﷻ أم لا؟ كثير من الناس إذا أقدم على أمر، أو على مشروع، أو على قرار من قرارات حياته، يبحث قبل أن يتخذ هذا القرار عدة أبحاث، بحث هندسي، بحث طبي، بحث اجتماعي، ويسأل أهل الخبرة والاختصاص، لكنه لا يخطر على باله، وليس حاضرًا في ذهنه هل هذا الأمر حلال أم حرام؟ بعض الناس، فهذا السؤال غير حاضر عنده، معاملة تجارية معينة يريد أن يدخل فيها يسأل هل هي مُربحة أم لا؟ كم نسبة الأرباح؟ كم نسبة كذا؟ ولا يخطر على باله هل هي تجوز أم لا؟ هل هي حلال أم حرام؟ هل فيها ربا مثلاً أم لا؟ هذا نوع مهم من محاسبة النفس، المحاسبة قبل العمل، وكلما كان الإنسان أكثر محاسبة لنفسه قبل العمل كلما قلَّ هامش الندم عنده في الدنيا والآخرة، كثير من الناس لا يبالي، يتقحم الأعمال والأفعال والمواقف ويتخذ القرارات، ثم يفاجأ أو حتى لا يفاجأ أن هذا حرام مثلاً لا يجوز، لا يرضي الله ﷻ، هذا أمر.

الأمر الثاني، والنوع الثاني من المحاسبة: محاسبة النفس بعد العمل، بل في كل يوم يتصفح الإنسان، أو يجتهد في أن يتصفح أعماله في اليوم، هل أنا عملتُ كذا؟ هل الموقف الفلاني أخطأتُ فيه؟ هل هو صواب؟ فإن كان صوابًا حمد الله عز وجل، وإن كان خطأً يجب عليه أن

يُعيد النظر، وأن يتوب إلى الله ﷻ، فقد أمرنا الله ﷻ بالتوبة، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحریم: ٨].

فانظر بعض الناس تأخذه العزة بالإثم، إذا أخطأ أو تجاوز حدّه مع شخص، أو ظلم شخصاً يكابر ولا يراجع نفسه، وإن راجع نفسه وعرف أنه مخطئ يكابر على أن يُعدّل ويصحح هذا الخطأ، لا، المؤمن رجّاع تَوَابٍ إلى الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

هكذا إذا حرصت على محاسبة نفسك قبل العمل، وعلى محاسبة نفسك بعد العمل، وعلى تصحيح مسارك دائماً، فأبشر بقدمك على الله خفيف الحمل، مستبشراً لأنك حاسبت نفسك في الدنيا، فستكون بإذن الله خفيف المحاسبة في الآخرة، أما الذي يغفل عن نفسه فتتراكم على كاهله مظالم الناس، والمعاصي، والذنوب، والغفلات، وإهمال حق الله ﷻ دون محاسبة، ودون توبة، ودون أوبة إلى الله ﷻ هل هذا يظن أن هذه الحقوق ستضيع، هل هو شاك في أنه سيقدم على الله ﷻ فيحاسبه على هذه الجبال على كاهله من الذنوب والمعاصي والظلمات والظلم الذي حمّله على نفسه، أبداً.

لذلك كما قال النبي ﷺ، ولن تجد خيراً من كلامه ﷺ، وكلام الله سبحانه: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ».

نسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلاء أن يغفر لنا ولكم الذنوب، وأن يبيّننا من غفلتنا، وأن يبصرنا بحقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، وأن يعيننا وإياكم على سلوك مسلك النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، وأن يحشرنا في زمرته يوم القيامة، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفّعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر والحكيم.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا عيباً إلا سترته، ولا همماً إلا فرّجته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا يسرّها وأتممتها يا رب العالمين. اللهم فرّج هم المهمومين، ونفّس كرب المكروبين،

واقضِ الدّين عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم  
 آمنا في أوطاننا، اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفق  
 للحق إمامنا وولي أمرنا يا رب العالمين.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ  
 وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾  
 [العنكبوت: ٤٥].

